لو أبصرت ثلاثة أيام

بقلم: هيلين كيلر آدامز
ترجمة: د. عبدالهادي التازي



دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

لو أبصرتُ ثلاثةَ أيّام



المكتبة الصغيرة

(٥٢)

لو أبصرت ثلاثة أيام

بقلم: هيلين كيلر آدامز

ترجمة: د. عبدالهادي التازي

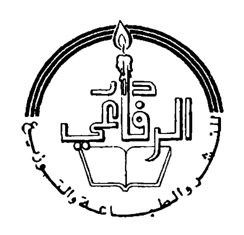


دار الرفاعي

للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

لو أبصرت ثلاثة أيام

مقدمة

تعرضت هيلين كيلر آدامز وهي في الشهر الخامس من عمرها لمرض حرمها من بصرها وسمعها ومنعها أيضاً من الكلام! بيد أنها بفضل العون الذي قدمته لها أستاذتها الآنسة آن صاليفان جون ماسي (Anne Sullivan John Macy) استطاعت أن تتعلم النطق وهي في السن العاشرة، وبمرور الأعوام عرفت كيف تتخلص من عالم البؤس والصمت إلى عالم السعادة والكلام، وبعد تخرجها بتفوق من كلية رادكليف (ولاية ماساشوستس) سنة ١٩٠٤. انصرفت للقراءة والتأليف. وقد مكنتها شهرتها من التنقل عبر كثير من بلاد

---

(١) العنوان الأصلي للمقال:

If I Had Three Days to See; by:
Hellen Keller Adams (1880-1968): "Ogden. Utan", School for Deaf Copper, A.C. and Fallon: Essays Then and Now.

الدنيا حيث لقيت الترحيب والتكريم من سائر رجال الفكر، وقد كان في جملة البلاد التي زارتها مصر سنة (١٩٥٢) بصحبة سكرتيرتها الآنسة بولي طمسون، وقد كان كتابها (قصة حياتي) 'The Story of My Life' أول ما ألفت ولكنه ليس آخرها فلها: 'The World I Live In' ولها: 'The Song of The Stone Wall' ولها: 'The Practice of Optimism' . . وغير هذا من عشرات الكلمات والمقالات التي توحي بالشكر لله على نعمة الحواس وتدعو إلى استعمالها فيما خلقت من أجله. . وقد نقل كتابها (قصة حياتي) إلى اللغة العربية الأستاذ أمين موسى قنديل. كما عرب كتابها حول معلمتها الدكتور حسين فوزي النجار. هذا إلى تعريبات أخرى قام بها بعض الأدباء لجملة من مؤلفاتها. . وكثير منها لم يعرف بالعربية.

وقد حبب إليّ أن أقوم بنقل إحدى مقالاتها المختارة إلى العربية، وفضلت هذه المقالة بالذات لأنها في نظري أفضل نصح وأصدقه يمكن أن يقدم إلى أولئك الذين تحف بهم النعم من كل الجهات، ثم هم يكفرون بها ويستسلمون للأوهام واليأس والقنوط. فالمقال إذن (دعوة) للناس أن

يلتفتوا إلى ما حواليهم من كنوز وثروات حقيقية. ولهذا فإنني أقترح عليك أيها القارىء أن تستوعبه مهما كانت مشاغلك، وكيفما كان مركزك، وحيثما كان مقامك، وسواء أكنت من الذين يدركون حقائق الأشياء فهم يجدون الراحة فيما يحيط بهم من مباهج، أم كنت من أولئك الذين أضنتهم متاعب الحياة فهم من مباذلها سرمداً يضجون ويشكون..

المترجم

* * *

تمهيد

كل واحد منا قرأ أساطير رائعة، عاش أبطالها لحظات معينة تطول أحياناً حتى ليخيل إلينا أنها بلغت السنة كاملة، وتقصر أحياناً حتى لا تتعدى في اعتبارنا أربعاً وعشرين ساعة، بيد أننا نهتم دائماً بمعرفة الرغبات التي اختارها هذا البطل أو ذاك ليقضي معها أواخر أيامه أو أواخر ساعاته. أتحدث طبعاً عن أولئك الذين لهم نوع من الاختيار، وليس عن الآخرين من الذين حكم عليهم، أو من الذين ضاقت أمامهم الآفاق..

إن مثل تلك الأساطير تجعلنا نفكر ماذا يجب علينا أن نفعل لو عشنا نفس تلك الظروف، ما الأشياء؟ ما التجارب؟ ما الأعمال التي نختار القيام بها في هذه الساعات الأخيرة من حياتنا؟ ما نوع السرور الذي سننعم به ونحن نعيش هذه الفترات؟ وما نوع الأسى والأسف الذي سنحسه؟.

لقد فكرت في بعض الأحيان بأن أفضل طريق وأحسنها هي أن نعيش كل يوم، كما أننا سنموت غداً! وأن مثل هذا الشعور منا سيقوي من قيمة الحياة ومتعتها في نظرنا، يجب علينا أن نعيش كل يوم ونحن نقدر تمام التقدير وندرك تمام الإدراك النعم التي تحيط بنا، والتي غالباً ما تفقد قدسيتها عندما يمر أمامنا الزمان في هذا المشهد الدائم الذي يمضي بأيامه وشهوره وأعوامه.. أولئك طبعاً هم الذين يعيشون دوامة أبيقور المتلخصة في «كل واشرب وامرح»[1] بيد أن أغلب الناس يريدون أن يعيشوا في عذاب، وهم يشعرون بحقيقة الفناء الوشيك.

إن البطل المحكوم عليه في مختلف الأساطير كثيراً ما نراه في آخر لحظة يعرب عن طريق لإسعافه من حظ سعيد، لكن الملاحظ أننا في أغلب الأحيان نرى إحساسه بقيم الحياة كثيراً ما يتغير، إنه يمسي أكثر تقديراً لمعاني الكون ولأسراره الروحية الدائمة.. وفي جل الحالات ترى أن أولئك الذين يعيشون أو عاشوا في ظلال الموت، وعلى مقربة من شبحه هم

(١) أبيقور (EPICURE) فيلسوف يوناني عاش في القرنين الرابع والثالث قبل المسيح كان يزعم أن المتعة هي الهدف الرئيسي من الحياة.

الذين يتذوقون لذائذ الظروف التي يحيونها.

لكن معظمنا مع كل ذلك يأخذ الحياة على أنها ممنوحة له مخولة. فنحن نفهم أنه لا بد من يوم آت لا محالة، نسلم فيه الروح، بيد أننا غالباً ما نتصور أن هذا اليوم بعيد وبعيد جداً!! وعندما نكون في حالة صحية جيدة فإن الموت عندئذ يمسي أمراً غير وارد بتاتاً، بل إنه لا يخطر على بالنا إلا عابراً، وهكذا، إن الأيام تتعاقب في طريق غير ذي حد، وهكذا أيضاً نسير في زحمة أشغالنا الطفيفة الزهيدة عالمين ـ ولكن بصعوبة ـ بموقفنا إزاء هذه الحياة..

وإن هذا السبات نفسه هو الذي يهيمن علينا فيما أعتقد حتى فيما يتعلـق باستعمال حواسنا وطاقاتنا. إن الأصم وحده هو الذي يقدر نعمة السمع، وإن الكفيف وحده هو الذي يقدر ضروب السعادة التي تكمن في نعمة البصر. إن هذه الملاحظة تنطبق عملياً على أولئك الذين فقدوا حاسة النظر أو حاسة السمع في حياتهم المبكرة. لكن الذين لم يسبق لهم أن اشتكوا من الحرمان، لم يسبق لهم أن فقدوا بصراً أو سمعاً، أولئك قليلاً ما يحسون بعظمة النعمة في الاستفادة من هذه الحاسة المقدسة.. إن أبصار هؤلاء تقع على كثير من المناظر

كما أن أسماعهم تتلقى مختلف الأصوات، ولكن دون اكتراث ودون إمعان، بل وبقليل من التقدير! إنها نفس الكلمة التي تردد: لا يعرف المرء مقدار النعمة إلا عندما يسلب منها، ولا يعرف الإنسان مقدار عافيته إلا عندما يكون طريح الفراش! كثيراً ما فكرت في أن هذا الإنسان، أي إنسان لو أصيب بفقد بصره أو فقد سمعه لبضعة أيام من بداية حياته الأولى لظل يشعر سرمداً بأريج السعادة الذي يحف به. إن الظلام سيجعله لا محالة أكثر تقديراً للنور الذي يراه صباح مساء، وأن الصمم المطبق سيعلمه دون شك متعة وقع الصوت على مسمعه!.

لقد كان يلذ لي أحياناً أن أسأل رفاقي الذين يبصرون لأعرف عن بعض ما كانوا يرون، وقد تقبلت في هذه الأيام زيارة صديقة من أعز صديقاتي كانت قد رجعت منذ قليل من جولة لها طويلة في إحدى الغابات المجاورة، سألتها ماذا رأت وماذا لاحظت؟ فكان جوابها بالحرف: «لا شيء يستحق الذكر!» ولو أنني لم أكن معتادة مثل هذا الجواب لداخلني الشك فيما سمعت. لقد اقتنعت منذ زمن بعيد أن هؤلاء الذين يبصرون لا يرون إلا قليلاً!.

قلت في نفسي: كيف يكون من الممكن أن يتجول المرء لمدة ساعة من الزمن بين منعطفات الغاب ولا يرى شيئاً يستحق الذكر!؟ أنا التي لا أستطيع أن أبصر شيئاً اكتشفت مئات الأشياء التي تهيمن من خلال اللمس العابر. أشعر ـ وأنا ألمس ـ بالتناسق اللطيف الذي أجده بين أوراق الشجر، أمر بيدي أتحسس هذا الأديم الناعم الذي يلف بعض الأشجار الفتية، بل حتى هذا اللحاء الأشعث الخشن الذي يكسو الصنوبر.. وفي فصل الربيع أتلمس الغصون وفروع الشجر وكلي أمل في البحث عن البراعم، عن الطلائع الأولى للطبيعة اليقظة بعد سباتها العميق في فصل الخريف. أحس بالبهجة والنعومة وأنا أربِّت الزهور، وأكتشف ما في طيات هذه الورود من جمال، هناك تظهر لي معجزة الطبيعة في أحلى مظاهرها.. ومن وقت لآخر ـ إذا ما أسعدني الحظ ـ أضع يدي بلطف وتؤدة على شجرة صغيرة لأتحسس الرعشات المنعشة التي تنبعث من طائر وهو في أوج سروره، سأكون سعيدة عندما أشعر ـ من خلال أصابعي المتفتحة ـ ببرودة المياه المتدفقة في الجداول، بالنسبة إليّ فإن فراشاً ناعماً من أوراق الصنوبر المتناثرة، أو مع الربيع الاسفنجي أحب إليّ

من أروع زريبة حتى لـو كانت فارسية! وبالنسبة إليّ فإن مشاهدة تدرج الطبيعة من فصل إلى فصل تُعَـدُّ عندي رواية تمثيلية أخاذة غـير ذات نهاية، أنعم بهـا من خلال تلمس أناملي. .

يصرخ قلبي من أعماقه في بعض الأحيان وفي شوق متزايد ليشاهد هذه الأشياء، وإذا استطعت أن أحصل على متعة مثل هذه بمجرد لمس عابر، فأي جمال وأي بهاء أشعر به وأنا أرى ذلك رؤيا عين! إن أولئك الذين يتوفـرون على عيـون، يبصرون فعلاً كما يجب، إن المنظر الشامل لمختلف الألوان ومختلف الحركات التي يزدان بها هذا الكون، كـل ذلك يلاحظه معظم الناس دون أدنى تفكير. قد يكـون من الإنسانية أن نقدر قليلاً الأشياء التي تحت تصرفنا وأن نتوق إلى الأشياء التي ليست في متناولنا، بيد أنه مما يدعو إلى الإشفاق الكبير في عالم النور أن نلاحظ أن حاسة البصر تُعَـدُّ لدينا أداة زهيدة فقط قبل أن تُعَدَّ وسيلة تضفي على الحياة الكمال والجمال.

لو كنت رئيسة جامعة لكان عليّ أن أفرض مادة إجبارية حول موضوع: (كيف تستفيد من عيـونك؟) يكـون على

الأستاذ في هذه المادة أن يحاول إفهام طلبته الوسائل التي تمكنهم من أن يضاعفوا المتع التي تزدان بها حياتهم عن طريق الرؤية الحقيقية للأشياء التي تمر أمامهم. دون أن يعيروها أدنى اهتمام، نعم يكون عليه أن يحاول إيقاظ طاقة طلابه وبعثها من نومها وفتورها.

* * *

لو أبصرت ...

أعتقد أنه من الممكن أن أرسم على سبيل التخيل ماذا يكون عليّ أن أرى لو أنني وهبت نعمة البصر فقط لمدة ثلاثة أيام. . فحاولوا أن تشاركوني في هذا الخيال كذلك. . ركزوا تفكيركم فيما أقول، وأنا أحاول معكم أن نجد استعمالاً للزمن طوال هذه الأيام الثلاثة التي سنبصر فيها بأم عيوننا نحن. .

عندما تشعر بأن الليلة الثالثة ستحمل معها اقتراب عودة الظلمة الدائمة، وعندما تشعر بأن الشمس سوف لا تعود أبداً للظهور مرة أخرى، كيف تقضي تلك الأيام الثلاثة الثمينة المحددة المزدحمة؟ ماذا ستختار أن يقع بصرك عليه؟.

سأختار أنا طبعاً أن أرى أكثر الأشياء التي أصبحت عزيزة عليّ طوال السنوات المظلمة التي عشتها، وأنتم كذلك ولا شك ستفضلون أن تتركوا لعيونكم الحرية الكاملة لتقع على

الأشياء التي أمست محببة لديكم، وذلك حتى تستطيعوا أن تحتفظوا لأنفسكم بذكراها في الليل البهيم الذي يعترض طريقكم.

نعم إذا ما منحت بقدرة قادر فرصة النظر لمدة ثلاثة أيام، أكون بعدها مهددة بانتكاسة تسلمني إلى الظلام الدائم، آنذاك سأوزع هذه الفترة من حياتي على ثلاث مراحل:

في اليوم الأول

ففي اليوم الأول سيكون أول ما أقوم به هو رؤية هؤلاء الناس الذين جعلوا من حياتي شيئاً يستحق الذكر، بفضل عطفهم ولطفهم وإخلاصهم. أولاً سيكون عليّ أن أنعم النظر طويلاً في محيا عزيزتي وأستاذتي الآنسة صاليفان ماسي التي وردت عليّ ذات يوم وأنا ما أزال طفلة، وفتحت أمامي هذا العالم الجديد.. لا أريد أن تكون رؤياي عابرة تقتصر على تلمح الخطوط البارزة لأسارير وجهها من أجل الاحتفاظ بذكراها في مخيلتي فقط، ولكني أريد أن أدرس ذلك الوجه درساً، لأقرأ فيه الشاهد الجلي على ذلك العطف والود والصبر الذي كانت تتحلى به، وهي تقوم بأداء مهمتها الشاقة من أجل تربيتي وتعليمي. أريد أن أرى عيونها المليئة بالعزم والقوة التي جعلتها تقف وقفة شهم حازم أمام سائر المصاعب.. عيونها المليئة بالرحمة والشفقة بجميع أفراد الإنسان!.

لا أعرف ماذا سأراه في أعماق قلب صديقة من خلال العين: «نافذة الإنسان» كنت أستطيع أن «أرى» بواسطة أناملي وأصابعي فقط، الملامح المتجسمة لوجه ما من الوجوه، أستطيع أن أكتشف الفرح والحزن وسائر الانفعالات الظاهرة.. أعرف صديقاتي وأصدقائي عن طريق لمس وجوههم، لكني لا أقدر حقيقة أن أرسم صورة في مخيلتي لأشخاصهم عن طريق مجرد اللمس، أعرف شخصياتهم طبعاً من خلال «الوسائل الأخرى» من خلال الأفكار التي يعبرون لي عنها، من خلال أعمالهم وتصرفاتهم مهما كانت.. ومع ذلك فإني محرومة من النفوذ إلى أعماقهم، ذلك النفوذ الذي يتم دون شك عن طريق النظر في وجوههم، عن طريق ملاحظة ردود الفعل التي يقابلون بها مختلف النظريات التي يسمعونها،أو الظروف والملابسات التي تمر بهم عن طريق التفاعلات والإحساسات المباشرة والعابرة التي تتجلى من العيون وملامح الوجوه.

أعرف جيداً الصديقات اللاتي يترددن عليّ لأنهن ظللن عبر الشهور والأعوام، يشخصن أمامي في شتى المظاهر، بيد أن الزملاء العابرين ليس لي منهم إلا بعض الانطباعات

الناقصة، انطباعات توفرت عليها عن طريق احتضان أو سلام، عن طريق بعض الكلمات التي ألتقطها من بين شفاههن، بمساعدة أناملي، أو ببعض الكلمات التي ينقرن بها على راحة يدي. كم يكون سهلاً، وكم يكون من بواعث الارتياح بالنسبة إليكم، أنتم الذين تستطيعون أن تبصروا بعيونكم،وأن تدركوا بكل سرعة الصفة الأساسية لأشخاص الآخرين بمجرد رؤية الحركات التي تصحب التعبير عادة، بمجرد رؤية اهتزاز الأطراف، بمجرد إشارات اليد.. ولكن هل خطر مرة ببالكم أن تستعملوا بصركم لتنفذوا به إلى الطباع الداخلية لصديق لكم أو رفيق؟ أليس معظمكم - أيها الذين تبصرون - إنما تدركون عن طريق الصدفة فقط، معالم الوجوه وقسماتها ثم تتركون ذلك يمر كأنه لا يعني..؟.

ولأضرب مثلاً أدق، أسألكم هذا السؤال: هل تستطيعون أن تصفوا بدقة وجوه خمسة من الأصدقاء الذين تعرفونهم جيداً؟ بعضكم ربما قدر على ذلك، لكن عدداً كثيراً منكم لا يستطيع.. وكتجربة خاصة قمت بها أنا.. أذكر أنني سألت بعض الأزواج ممن عاشروا زوجاتهم طويلاً عن اللون الذي تمتاز به عيون زوجاتهم.. وفي أغلب الأحيان عبروا لي عن

خجلهم وارتباكهم.. واعترفوا بأنهم لا يعرفون حقاً ألوان عيون زوجاتهم! ولهذا أتذكر بهذه المناسبة أن كثيراً من الزوجات لا يفتأن رافعات عقيرتهنّ بالشكوى من أزواج لهن لا يولون اهتماماً لما يطرأ على البيت من ترتيبات طارئة.. إن عيون هؤلاء الذين يبصرون لا تلبث أن تعتاد رؤية الأشياء، ولا تلبث أن تصبح تلك الأشياء التي تجري من حواليهم رتيبة مبتذلة، والناس لا يعيرون في العادة اهتمامهم إلا لبداية الأمور، أو للغريب غير العادي منها، على أنه مع كل هذا، ففي أغلب الأمور التي تستحق المشاهدة نلاحظ أن العيون تمسي كسلانة لا تتحمل استجلاء الأشياء، وهناك حقيقة ينبغي أن تسترعي اهتمامنا هي أن مجالس القضاء والمحاكم تكشف كل يوم عن خطأ الذين يتقدمون إليها على أنهم «شهود عيان»! فعلاً هناك عدد من الحوادث يشاهد على عدة طرق تبعاً للأداء المختلف لشاهدي العيان! أحدهم تكون ملاحظته أقوى من الآخر لكن القليل من الناس هو الذي يرى كل شيء يدخل تحت مجال بصره.

آه... ما أكثر الأشياء التي عليّ أن أراها لو توفرت لدي حاسة البصر لمدة ثلاثة أيام فقط.

نعم سيكون اليوم الأول من أكثرها ازدحاماً في العمل. . سيكون عليّ أن أدعو سائر أصدقائي وأعزائي لأتملى من النظر إلى وجوههم طويلاً، وذلك لأطبع على مخيلتي المشاهد الظاهرة للجمال الذي يعلوهم، سيكون عليّ أن أترك الفرصة لعيوني كيما تأخذ راحتها في النظر العميق إلى وجه طفل من الأطفال وذلك لآخذ فكرة عن الجمال الصاعد البريء الذي يتقدم على مرحلة شعور الشخص بما ينتظره في الحياة من صراع ونزاع.

وكذلك فإن مما اضطرني دون شك أن أحدق بإمعان في عيون كلابي الوديعة الأمينة (صكوتي) (ضاركي) الصغيرين اللذين يمتازان بجديتهما وذكائهما. . وكذلك (كويط دان) و (هيلكا) الضلعين الحاذقين. هاته الكلاب التي كانت لي نعم العزاء ونعم السلوى بملمسها الناعم، وصداقتها الوفية.

في هذا اليوم الأول المليء بالأشغال سيكون عليّ أن أرى هذه الأشياء البسيطة الصغيرة التي يضمها بيتي، أريد أن أرى هذه الألوان الدافئة التي تتوفر عليها هذه الزرابي التي أطؤها بقدمي، هذه الصور التي تزدان بها الجدران، نعم هذه الأشياء الزهيدة والمحببة في الوقت ذاته التي تحول البناء من

مجرد بناء إلى حيث يمسي بيتاً نأوي إليه ونشعر بالحنان نحوه. إن عيوني ستتركز بإجلال على هذه الكتب بحروفها البارزة التي مرت بها قراءة منذ زمن، ستكون عندي أكثر حظوة واعتناء من تلك الكتب المطبوعة التي اعتادها المبصرون، إن جميع تلك الكتب، سواء منها التي قرأت بنفسي أو التي تليت عليّ أقامت أمام مخيلتي طوال الليل الذي صحبني في حياتي أقامت الفجوات العميقة للحياة الإنسانية، وللفكر الإنساني.

وفيما بعد ظهر اليوم الأول من هذه الأيام المبصرة الثلاثة، سيكون من برنامجي أن أقوم بجولة طويلة داخل الغاب لأني أريد لعيوني أن تسكر، أن تغيب في جمال الطبيعة في محاولة من أجل أن أستوعب ـ في أوقات قليلة جداً ـ هذا البهاء العظيم الذي يعرض نفسه باستمرار على أولئك الآخرين الذين يتوفرون على حاسة النظر.. وفي طريقي إلى بيتي من جولتي في ذلك الأيك الجميل سأعرج قليلاً على بعض الضيعات، حتى يتسنى لي أن أشاهد بعيني الجياد الكادحة التي تشق الأرض بمحراثها، أو أشاهد فقط جراراً من تلك الجرارات، وأقف بعين رأسي على أولئك الرجال الذين يفترشون الغبراء في هدوء وإيمان وقناعة، هناك سأقوم بأداء

صلاة الشكر أمام هذا الرواء الذي يتجلى في ألوان الشمس عند مغربها.

وعندما يخيم الظلام هناك أيضاً سيكون في متناولي أن أستمتع بالمتعة المزدوجة عندما يكون في استطاعتي أن أرى أيضاً، عن طريق النور الصناعي الذي شاءت عبقرية الإنسان أن تبتكره حتى يمدد في أمد الضوء، في الوقت الذي تحكم الطبيعة فيه على الناس بالظلام!.

وعند الليلة الأولى من هذا اليوم الأول من أيامي الناظرة سوف لا يجد النوم سبيلاً إلى عيوني، لأن ذكريات الساعات الماضية ستزدحم على مخيلتي.

* * *

في اليوم الثاني

وفي اليوم التالي، أعني اليوم الثاني من أيام النور سأستيقظ مع الفجر لأرى تلك المعجزة الهائلة: معجزة انسلاخ الليل عن النهار وتحول الطبيعة من عالم مطبق إلى عالم مشرق، سأقف بإجلال وخشوع أمام هذا المنظر البديع الرائع للشمس وهي تنتشر على الأرض توقظ الناس من سبات المنام!.

وسأخصص هذا اليوم لشيء آخر.. إني أريد أن آخذ لمحة سريعة عن هذا العالم، ماضيه وحاضره، سيكون عليّ أن أقف على مظاهر تقدم الإنسان وعلى الآثار التي تعبر عن مختلف العصور.. لكن كيف أستطيع أن أضغط كل هذا في يوم واحد؟ من خلال المتاحف طبعاً.. لقد سبق لي أن زرت في أكثر الأحيان متحف نيويورك للتاريخ الطبيعي لألمس بيدي كثيراً من الأشياء المعروضة هناك، بيد أني كنت أتوق

لأرى هذا بعيوني أنا، تاريخ الدنيا المتشابك المتكاتف بما فيه من أولئك الذين كانوا يعيشون هاتيك العصور، أجناس بشرية، حيوانات نحتت أو صورت في بيئتها الأولى وشكلها الأصلي، سأرى الجثث الهائلة لحيوانات زاحفة انقرضت الآن: (دينوصور)[١]، و(مستودون)[٢] التي جابت هذه الأرضين قبل أن يظهر الإنسان بقوامه الصغير وعقله الكبير ليفتح مملكة الحيوان، تلك معارض واقعية لمظاهر التدرج والارتقاء بالنسبة للحيوانات وبالنسبة للإنسان، وبالنسبة كذلك للأدوات والعدد التي استخدمها الإنسان من أجل أن يجد لنفسه حياة آمنة على ظهر هذا الكوكب.. وألف مظهر ومظهر للتاريخ الطبيعي.

كم يا ترى عدد قراء هذه الأشياء من الذين تنبهوا لضرورة مشاهدة هذه المعالم الموسومة للأشياء الحية في ذلك المتحف الملهم بكل معاني الحياة؟ كثير منهم بطبيعة الحال لم تكن لديه الفرصة ليطبق ما يشاهد على ما يدرس، على أنني متأكدة من أن كثيراً من أولئك الذين سنحت لهم الفرصة لم

---

(١) (Dinosaure) زحاف ضخم يعود إلى الأزمنة الغابرة.

(٢) المستودون (Mastodon) حيوان شبيه بالفيل انقرض الآن.

يستعملوا أبصارهم كما يجب. . هناك في تلك المتاحف يوجد بكل تأكيد المكان الذي يستحق من المرء أن يستعمل بصره. . أنت الذي ترى يمكنك أن تقضي أياماً منتجة هناك، أما أنا في هذه المرحلة الخيالية التي لا تتجاوز ثلاثة أيام من عمري فلن أستطيع أن أحظى بأكثر من لمحة عابرة ثم أغدو إلى ليلي الحالك!.

وستكون وقفتي التالية في متحف العاصمة للفن، وكما كشف المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي عن مختلف المظاهر المادية لهذا العالم فإن متحف العاصمة يكشف لنا عن العديد من حقائق الفكر الإنساني. فمن خلال تاريخ الإنسانية نرى أن الحاجة إلى التعبير الفني كانت من الضرورة بحيث تضاهي الحاجة إلى الطعام، إلى المأوى، إلى الأولاد. . هناك في تلك الغرف الفسيحة الأرجاء من متحف العاصمة تنتصب أمامي حياة مصر واليونان وروما متجلية في فنونها. .

كنت أعرف جيداً عن طريق اللمس الهياكل المنحوتة، وقد أخذت صورة عن هيكل بارثينون (Parthenon)(١) وأدركت

---

(١) البارثينون هيكل الآلهة أثينا في أكروبوليس أثينا كما يزعمون.

الجمال البديع الذي كان طابع المحاربين اليونانيين الأمناء: أبولو إلّه الجمال، وفينيس ربة العشق، وتمثال النصر المجنح في ساموتراس[١]، كل هذه كانت صديقة لأناملي، كانت قسمات وجه الشاعر اليوناني هوميـروس[٢] بلحيته وأساريره، كانت عزيزة على ملمسي، إنه هو كذلك كان أعمى، كانت يدي تجد راحتها وهي تلمس الرخام الروماني المنقوش تماماً كما ألمس نحت الأجيال المتأخرة. . قد مررت بيدي على لوحة جبسية من صنع النحات الإيطالي ميخائيل أنجلو[٣] للنبي موسى، وأدركت عبقرية النحات الفرنسي رودان[٤]. لقد

---

(١) Winged Victory of Samothrace تمثال مشهور وغير كامل للآلهة ذات الجناحين، وهي إلّهة النصر كما يزعمون. وقد اكتشف هذا التمثال في ساموثراس في بحر إيجه، ويوجد هذا التمثال حالياً في متحف اللوفر بباريس.

(٢) هوميروس (Homer) شاعر أعمى من اليونان عاش حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وهو صاحب ملحمتي الإلياذة والأوديسا.

(٣) Michelangelo Buonarroti (1564-1475) كان نحاتاً ورساماً وشاعراً ومهندساً في مدينة فلورانسا. . لقد كان مشهوراً بأنه هو الذي خطط بناء كنيسة سان بيتر (St. Peter) في روما، كما صنع عدداً من التماثيل كتمثال موسى.

(٤) رودان هو (Auguste Rodin) (1917-1840) نحات فرنسي أشهر أعماله التمثال الذي يسمى بـ «المفكر».

ظللت معجبة بإبداع الفكر المتجلي في النحت الخشبي القوطي[1]. إن هذه الفنون التي يمكن لمسها لها معان خاصة بالنسبة إليّ بيد أن معانيها وهي مرئية أفضل منها وهي ملموسة. أستطيع فقط أن أصل عن طريق الحدس والتخمين إلى الجمال الذي تظل بقاياه وملامحه غائبة عني، أستطيع أن أبدي إعجابي بالخطوط البارزة التي تزين زهرية من الزهريات الإغريقية بيد أن الزخارف المرسومة تظل بالنسبة إليّ مفقودة.

نعم هكذا سأقضي ثاني يوم من أيام نوري، سيكون عليّ أن أنفذ إلى أعماق الروح الإنساني من خلال ما خلفه ذلك الإنسان من فنون. إن الأشياء التي أعرفها عن طريق اللمس، يجب عليّ اليوم أن أراها رؤيا عين.. هذه الروعة الكاملة التي يتوفر عليها عالم الرسم، ينبغي أن تتفتح أمامي في أبهى مظاهرها، من العهود الإيطالية الأولى بمظهرها الديني الهادي إلى العصور الحاضرة بمظاهرها المحمومة المضطربة.. سيكون عليّ أن أنظر بإمعان إلى الصور المرسومة على القماش

---

(١) Gothic Wood Carving هو نوع من النحت يوجد في الكنائس القوطية، وقد تطور هذا النوع من الأسلوب الهندسي في فرنسا خلال القرن الميلادي الثاني عشر ومن أبرز خصائصه الاعتماد على القوس المنقط.

والتي هي من عمل رفاييل[١] وليوناردو دافينشي[٢]، تيتيان[٣]، ريمبراندت[٤]. . سأقيم لعيوني عيداً عندما أسمح لها بأن تقف قليلاً أمام اللون الدافىء لفيرونيز (Veronese)[٥]، وبأن تدرس أسرار الكريكو[٦]. وبأن تكتسب نظرة للطبيعة من كوروط (Corot)[٧]، آه، هناك

---

(١) Rapheal رسام إيطالي (1483-1520) نال شهرة عالمية بلوحته (Sistine Madonna).

(٢) Leonardo da Vinci رسام ونحات ومهندس ورياضي، عالم إيطالي (1452-1519) اشتهر كرسام بلوحته (MONALISA) ولوحته آخر عشاء (Last Supper).

(٣) Titian رسام من فينيسيا (1477-1576) وقد امتاز باستعماله ألواناً مختلفة.

(٤) Rembrandt رسام هولندي (1606-1669) له لوحات عالمية رائعة فيها درس في عالم التشريح (Lesson in Anatomy) وحارس الليل (Night Watch).

(٥) Paolo Veronse (1528-1588) هو رسام من فينيسيا خصص لوحاته لمواضيع دينية.

(٦) El Creco Domenico Theotocopuli (1548-1625) كان معروفاً باليوناني ولكنه أبرز رسام اسباني في عصره، اشتهر باللوحة المعروفة للقديس جيروم.

(٧) Jean Baptiste Camille Corot (1796-1875) رسام فرنسي اهتم بالمناظر الرعوية، من أشهر لوحاته رقص الحوريات (The Dance of the Nymphs).

كثير من المعاني الثرية، ومن الجمال البديع في شتى الفنون التي تمثل مختلف العصور بالنسبة إليك أنت الذي تنعم بعيونك تستطيع أن ترى بها كلما أردت ذلك.

وبعد هذه الزيارة القصيرة لمتحف الفن هذا سوف لا أستطيع أن أعيد النظر إلى جانب واحد من هذا العالم العظيم، من عالم الفن الذي يظل في متناولكم أنتم كل وقت وحين.. سأستطيع فقط أن أحصل على بعض الارتسامات السطحية.. عدد من الفنانين يذكرون لي أن تقدير الفن العميق الصحيح من شأنه أن يعمل على تربية حاسة النظر. إن المرء عن طريق تجربته يعرف كيف يقدر الكفاءات، يتعلم عن طريق التجربة وإمعان النظر كيف يزن الأمور ويتأمل الإمكانيات وأبعاد الخطوط وترتيبها وأشكالها وألوانها.. لو كانت لي عيون كم أكون سعيدة الحظ أن أتعاطى دراسة جذابة من هذا النوع. يحكى لي دائماً عن عدد من الناس من بينكم - أيها الذين تبصرون - لا يهتم بعالم الفنون هذا، وأنه بالنسبة إليكم يظل عالماً مجهولاً بل ليلاً مظلماً.. فهو - أي ذلك العالم - لا يرى النور ولا يحظى بمن يحاول اكتشافه.

سأترك متحف العاصمة وأنا أشعر بمرارة ما عليها من

مزيد، فقد كنت أفضل أن أظل هنا بجانب «المفتاح» الذي يحتضن أنواع الجمال، الجمال الضائع المهمل.. نعم إن هؤلاء الذين يبصرون لا أراهم في حاجة إلى متحف من هذا النوع يبحثون فيه عن مفتاح الجمال ذلك، إن هذا المفتاح يظل منتظراً على الأبواب، فهناك متاحف صغيرة تمثل في تلك الكتب التي تضمها رفوف المكاتب.. لكني بطبيعة الحال، وفي هذا الوقت المحدد من أيام «رؤيتي الخيالية» ملزمة أن أختار المكان الذي يوجد فيه المفتاح الذي يكشف لي عن أعظم كنز وأثمنه وفي أقصر وقت كذلك.

وفي مساء اليوم الثاني من «أيام النور» سيكون عليّ أن أقضيه في مسرح أو سينما.. لقد حضرت إلى الآن طائفة من التمثيليات المسرحية من كل نوع وشكل، بيد أن حركة الممثلين إنما كانت تهجى لي من طرف رفيقتي.. لهذا فكم أكون سعيدة أن أرى اليوم عن طريق عيوني أنا و دون حاجة إلى ترجمان شخص (هامليت)[1] الفاتن، و (فالسطاف)[2]

---

(١) Hamlet أمير الدانمارك وبطل مسرحية هامليت لشكسبير.

(٢) Sir John Falstaff شخصية الصعلوك الشهير في مسرحيتي «الملك هنري الرابع - ١» و «الملك هنري الرابع - ٢» لشكسبير. اشتهر بذكائه المفرط وبجبنه كذلك.

العاصف بين الزخارف الملونة لأليزابيث، وكم أكون سعيدة أن أتتبع سائر حركات (هامليت) الرشيق القد، وسائر أطراف (فالسطاف) القوي الجسم، سأشاهد فقط تمثيلية واحدة، وسيكون عليّ أن أجابه عدداً من المفاجآت بما في ذلك الإشارات الفنية التي أرغب في أن أراها بعيني.. أنتم الذين لكم عيون يكون في متناولكم أن تروا أي شيء يروقكم مهما تريدون، فكم منكم يا ترى عندما يقع بصره على تمثيلية في مسرح أو رواية في سينما أو ألعوبة، كم منكم يزجي آيات شكره وتقديره لمعجزة البصر التي ينعم بها والتي تجعله قادراً على أن يستمتع بلونها وحسنها وحركتها؟.

لا أستطيع أن أتمتع بجمال الحركات الإيقاعية، وكل ما كنت أستطيعه في دائرتي الضيقة هو أن ألمس بيدي.. كل ما كان في مقدوري هو أن أتخيل، ولكن في غموض فقط، جمال (بافلوفا)[١] ومع ذلك أعرف بعض الأشياء البهيجة في إيقاعها، وفي أغلب الأحيان أستطيع أن أشعر بذبذبة الميزان الموسيقي وهي تنساب من تحت قدمي على وجه الأرض،

---

(١) Anna Pavlova (1886-1931) راقصة روسية مشهورة.

أتصور جداً أن حركة إيقاع النغم يعتبر من أجل المناظر في العالم، وأستطيع كذلك أن أدرك بعض الأشياء عن طريق التحسس بأناملي عن السطور المنقوشة، فإذا كان هذا الجمال الهادىء محبباً إلى الناس فكيف، يمكن أن نتصور الابتهاج الـذي يتملكنا ونحن نـرى هذا الجمـال الصاخب أمـام أبصارنا؟ . .

ولا أنسى إحدى الذكريات العزيزة عليّ، يوم أذن لي الممثل الأمريكي جوزيف جيفرسـون[1] فسمح لي بلمس وجهه ويديه عندما كان يقوم ببعض الحركات ويلقي بعض الكلمات من قصته المحببة لدى الشعب الأمريكي: «ريب فان وينكل» (Rip Van Winkle)[2] لقد استطعت فقط أن أدرك بعض الملامح عن عالم القصة، ولكنها كانت تافهة، وسوف لا أنسى أبداً تلك المتعة التي شعرت بها في تلك

(١) Joseph Jefferson ممثل أمريكي مشـهور (1829-1905) اشتهـر في دور ريبڤـان وينكـل.
(٢) Rip Van Winkle شخصية من قصة تحمل نفس الاسم لمؤلفها واشنطون ايرفين (Irving) وريب هذا هولندي نام خلال عشرين سنة ولما استيقظ وجد أنه نسى، وأن التقاليد قد تغيرت!.

اللحظات، ومع ذلك فكم هي الأشياء التي ضاعت مني! وكم هي المتعة الفائقة بالنسبة للذين يرون والذين يمكنهم أن يقتبسوا عن طريق أبصارهم ومسامعهم الكلمات والحركات المتبادلة بين الفنانين في تمثيلية ما! لو استطعت أن أرى يوماً واحداً فقط سأعرف كيف أرسم في ذاكرتي مشاهد لآلاف التمثيليات من التي قرأتها أو التي نقلت إليّ عن طريق الحروف الهجائية. . وهكذا فإنه في هذا المساء من يومي الثاني لرؤيتي الخيالية فإن الرسوم والخطوط العريضة للأدب الدراماتيكي ستزيح النوم عن بصري. .

* * *

في اليوم الثالث

وفي الصباح التالي لا بد لي أيضاً أن أستيقظ مع الفجر لأنني أرغب في أن أظل على موعد مع اكتشاف المتعة الرائعة التي تتجلى في مطالع الشمس. . إنه من الجدير بأولئك الذين لهم عيون تبصر حقيقة أن يتخذوا من أغنية الفجر ومشهد الفجر كل يوم وبكيفية دائمة مناسبة يحتفلون فيها باستقبال هذا الجمال المتجدد. . !

إن هذا اليوم سيكون في برنامج رؤياي المتخيلة هو اليوم الثالث والأخير من أيامي. . سوف لا يكون لدي وقت أضيعه في التأسف أو التمني، هناك كثير من الأشياء التي ما تزال تستحق الرؤية. . لقد خصصت اليوم الأول لصديقاتي وأصدقائي سواء منهم الحيوانات والجمادات بينما كشف لي اليوم الثاني عن تاريخ الإنسان وتاريخ الطبيعة. . أما هذا اليوم فسأقضيه في هذا العالم المتحرك المشتغل، عالم الحاضر

بين ديار الناس ومتاجرهم، يغدون ويروحون لمشاغلهم في الحياة، وأين يجد المرء هنا مكاناً يحتوي على أكبر قسط من النشاط والحركة كما يجده في نيويورك؟ ولهذا فإني أتجه شطر هذه المدينة في يومي هذا..

سأبدأ انطلاقاتي من بيتي بالضاحية الهادئة الصغيرة (فوريست هيلس) لونك ايلاند، هنا حيث الحشيش الأخضر والأشجار والزهور وحيث تنصب بيوت أنيقة جميلة حيث أشعر بالسعادة مع الأصوات والحركات التي تنبعث من جماعات السيدات والأطفال، حيث ينعم الرجال بالراحة المطلقة بعد رجوعهم من عنائهم المتتابع بالمدينة. سأخترق هذه المجموعة من الأبنية المتراصة من الفولاذ التي تكون جسراً غرب الوادي، وهناك سأشعر ببداية جديدة لمشاهدة القوة والعبقرية اللتين يتوفر عليهما هذا الإنسان. سيقع بصري على هذه المراكب الراسية هنا.. وفيها ما ينهمك أصحابه في الشغل المتواصل به. وفيها ما تنطلق منه أصوات مدوية.. هناك سفن أخرى تزمجر في محاولة للقيام ببعض الحركات.. لو كانت لديّ أيام أخرى طويلة ما تزال تنتظرني لكنت أقضي منها نصيباً في تتبع هذا النشاط الرائع الذي يجري حوالي

الوادي. أرى أمامي ذات اليمين وذات الشمال، تنتصب المنارات الغربية، ناطحات السحاب التي عرفت بها مدينة نيويورك، المدينة التي يظهر أنها انحدرت من صفحات تاريخ مهول.. ما أعظمه من مشهد مثير مرعب يتجلى في هذه البروج اللامعة! في هذه المصارف الرحبة الواسعة الأرجاء المشيدة بالصخور والفولاذ.. بنايات يخيل إليك أنها من صنع جن بنوها من أجل أنفسهم هم.. وهذه الصورة الحية هي جانب من جوانب حياة ملايين الأشخاص كل مطلع شمس.. كم هو يا ترى عدد الذين يعطونها أكثر من نظرة ثانية! إنهم قليلون فيما أرى.. إن عيونهم عمياء عن هذه المناظر الرائعة لأنها بالنسبة إليهم أمست أمراً عادياً لا يحتاج لإعادة نظر.

سأدير الخطى لأصل إلى قمة إحدى هذه البنايات الشاهقة الضخمة بناية إمباير سطيط بيلدنيك (١٠٢) طبقة، لقد كنت في أوقات قصيرة خلت «رأيت» مدينة نيويورك ولكن من خلال عيون كاتبتي الخاصة.. أما الآن فإني في أشد الشوق لأقارن بين الخيال وبين الحقيقة الواقعة في أني متأكدة من أنني سوف لا أشعر باكتشاف مطلقاً وأنا أمام هذه المباني المتناثرة

أمامي، سيكون هذا بالنسبة لي مشهداً من عالم آخر..

والآن سأشرع في تجولاتي عبر المدينة بعد أن أخذت فكرة عنها من فوق أعلى بناية، وفي بادىء الأمر سأقف في زاوية جد مزدحمة من المدينة يقصدها على الخصوص جمهور الناس وذلك لأحاول عن طريق النظر إليهم معرفة بعض الأشياء عن حياتهم وأرى البسمات تعلو الوجوه وأنا جد مسرورة، وأرى العز والنشاط يشع من عيون الناس وأنا جد معتزة، وأرى كذلك العذاب والعناء وأنا مشفقة.

سأتجول في شارع «فيفث أفنيو» وسأسلط نظراتي على النقاط التي يتجمع فيها النور وذلك لأتمكن ليس فقط من رؤية الأشياء الخاصة ولكن فقط لمشاهدة الألوان الزاهية، إني متأكدة من أن هذه الألوان التي تمتاز بها ملابس النساء اللائي يسرن في هذه المواكب المتراصة.. إن هذه الألوان تمثل وحدها مشهداً بديعاً لا أشكو منه التعب أبداً بيد أنه من الممكن ـ إذا كان لي بصر ـ أن أكون مثل أولئك النساء الأخريات مهتمة أيضاً بالأشكال والأزياء التي تثير انتباه العامة أكثر لجمالها وبهائها.. وإني مقتنعة كذلك بأن عليّ أن أقف أمام إحدى واجهات المتاجر لأرى من خلال النوافذ.. سأشعر

بمتعة زائدة وعيوني تطوف بين آلاف الأصناف الجميلة المعروضة.

ومن شارع «فيفث أفينيو» سأطوف على المدينـة «بارك أفينيو» عبر الأحياء الشعبية، عبر المعاقل، عبر الحدائق التي يقصـدها الأطفـال للتلهي، وسأقف قليـلاً لأزور الأحياء الأجنبية.. وفي كل هذه التحركات ستكون عيوني مفتوحة على مصراعيها كما يجب، وعلى كل المناظر التي تقع عليها عيوني، سواء منها الجميل والرديء، وذلك لأتمكن من النظر بعمق لأضيف إلى معلوماتي شيئاً حول الطريقة التي يعيش عليها الناس ويشتغلون.. إن قلبي مليء بالصور: صور الأشخاص وصور الأشياء أيضاً.. وعيـوني تمر دون تـرو متغاضية عن الأمور الزهيدة، إنها تكد وتجاهد من أجل أن تلتقط معها، وفي انتباه ويقظة، كل شيء تقع عليه، هناك بعض المناظر مما يدخل السرور على القلب بل ممـا يملأه انشراحاً وغبطة، لكن بعض المشاهد محزن فعلاً.. وبالنسبة إلى هذه أيضاً فإني لا أغمض عيني عنها كذلك، لأنها في نظري تمثل جانباً من جوانب الحياة، وأعتقـد أن صرف العيون عن مثل هذه المشاهد، ولو أنها محزنة، هو بالذات إغلاق للقلب وإغلاق للفكر.

إن يومي الثالث من أيام البصر يقترب من نهايته ومن الممكن أن يكون هناك عدد من الأشياء الجدية التي تقتضي مني تخصيص بعض الساعات الباقية لرؤيتها بيد أني أعتقد أن مساء هذا اليوم الأخير يجب عليّ أن أقصد فيه أيضاً إلى المسرح حيث أنعم برؤية تمثيلية هزلية مضحكة وذلك ليتسنى لي أن آخذ فكرة عن واقع الكوميدي في الفكر الإنساني.

وعند منتصف الليل تكون الرخصة الموقتة التي قضيتها بعيداً عن ظلمتي قد أخذت نهايتها، ويحل الليل البهيم الدائم من جديد ليخيم في ساحتي مرة أخرى، وبالطبع لم أر في هذه الأيام الثلاثة القصيرة كل ما كنت أريد أن أراه، وعندما ينيخ الظلام بكلكله عليّ، هناك سأعرف كم هي الأشياء الكثيرة التي تركتها وأغفلتها دون أن أتمكن من رؤيتها بيد أن ذاكرتي ستزدحم بالذكريات المشوقة التي أحتفظ بها منذ ذلك الوقت القصير الذي آسف على فراقه، ومنذ هذا الوقت فإن لمس أي شيء سيحمل معه ذكرى حية عن حقيقة ذلك الشيء.

* * *

ختاماً.. افتحوا أعينكم!

ربما يكون هذا العرض الوجيز عن استعمال الزمن طوال هذه الأيام الثلاثة من أيامي المبصرة، أقول ربما لا يتفق مع المنهاج الذي قد تختارونه لأنفسكم لو أنكم كنتم مكاني، ولكني مع ذلك متأكدة من أنكم إذا واجهتم هذا القضاء فإن عيونكم ستفتح أمام الأشياء التي لم تروها من قبل مدخرين ذكرياتكم إلى الليل الطويل العريض الذي ينتظركم.. كل شيء رأيتموه سابقاً يمسي بالنسبة إليكم عزيزاً.. ينبغي أن ترى عيونكم كل شيء يدخل في دائرة عملكم.. عليكم أن تبصروا حقيقة الأشياء، إنكم إن فعلتم ستشعرون بأن عالماً جديداً من الجمال يكشف نفسه أمامكم..

أستطيع ـ أنا الكفيفة ـ أن أعطي إشارة فريدة لأولئك الذين يبصرون، أعطيهم عظة وتنبيهاً لأولئك الذين يبصرون

في أن يستغلوا هذه النعمة: نعمة البصر.. استفيدوا من عيونكم كما لو كنتم مهددين غداً بافتقاد هذه النعمة.. وإن نفس النصح ينبغي تطبيقه على سائر الحواس الأخرى: استمعوا إلى الصوت الجميل، إلى هزيج الطير إلى نغمات الموسيقى كما لو كنتم غداً ستصابون بالصمم.. المسوا كل ما يستحق منكم اللمس.. تنسموا أريج الزهور وعبير العطور، تذوقوا لذة كل طعام سائغ لذيذ تتناولونه كما لو أنكم ستفقدون غداً حاسة الشم والذوق.. تمتعوا بكل حاسة من حواسكم.. استمتعوا بكل اللذائذ، وانعموا بكل مظاهر الجمال التي تتفتح أمامكم في هذه الدنيا على شتى الأشكال ومختلف الطرق.. التي تتقدم إليكم بها الطبيعة الخلابة..

إن كل هذه الحواس هبة تستحق الشكر بيد أن نور البصر يعتبر من أجمل وأروع ما يدخل البهجة إلى النفوس!..

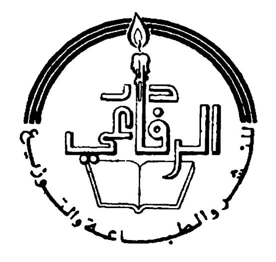
* * *

الفهرس

المقدمة ٥
تمهيد ٩
لو أبصرت ١٧
في اليوم الأول ١٩
في اليوم الثاني ٢٧
في اليوم الثالث ٣٩
ختاماً . . افتحوا أعينكم ٤٥

تم فسح هذا الكتاب من المديرية العامة للمطبوعات وزارة الإعلام

ضمن بيان شهر جمادى الأولى في ٢٩/ ٥/ ١٤٠٥ هـ



هذا الكتاب

● هذا الكتيّب نمط غريب من التأليف.. لأنه يعالج تجربة لم تقع.. تجربة متخيلة، لم يزد عمرها عن ثلاثة أيام.. حقاً، إن ما لم يخرج إلى عالم الواقع لا يصح أن يطلق عليه اسم تجربة، ولكن القوة المتخيلة عند مؤلفته (الأعجوبة) جعلت من حقنا أن نطلق على هذه المرحلة اسم التجربة.. وسيجد القارىء أننا لم نبالغ.. خاصة وأن الكاتبة لا تملك في حسباننا أداة كاملة للتخيل.. فهي لا تبصر ولا تسمع، ولا تنطق! وهي من أجل ذلك كله لا تستطيع أن تمسك قلماً، ولا أن تملي.. فكيف تخطت كل هذه الحواجز العالية، لتضع لقرائها مثل هذا الكتاب؟.

● هذه الكاتبة (الأعجوبة) هي (هيلين كيلر آدامز) التي استفاضت شهرتها فقد فقدت أغلى حواسها وهي في الشهر الخامس من عمرها، قبل أن ترى وأن تسمع، ومع ذلك فقد تغلبت على هذه الصعاب الكبرى عن طريق اللمس بالأصابع.

● قام بترجمة هذه الرسالة الأستاذ الكبير الدكتور عبد الهادي التازي، أحد أعلام المغرب العربي، في الدبلوماسية، والأدب والتاريخ، والمأثورات.

● وإن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع يسرها أن تقدم لقرائها هذا الكتاب، الذي يهز المشاعر الإنسانية من أعماقها ليعلم البشر أية نعمة عظمى نعمة الإبصار!!.

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

الثمن: ٤ ريالات